

الامامة والسياسة

[169] فأتولى منه ما أسخطني فيه، فيعذبني عليه، فأفارق الرجاء، وأستشعر الازدي، ولست بفاعلة حتى يفارقها، فذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام، وأعلماه بالذي أمرهما معاوية، فلما أخبراه سر به وفرح، وحمد الله عليه، ثم قال: نستمتع الله بأمر المؤمنين، لقد والى علي من نعمه، وأسدى إلى من مننه، فأطول ما أقوله فيه قصير، وأعظم الوصف لها يسير. ثم أراد إخلاطي بنفسه، وإلحاقني بأهله، إتماماً لنعمته، وإكمالاً لإحسانه، فإني أستعين على شكره، وبه أعوذ من كيده ومكره. ثم بعثهما إليه خاطبين عليه، فلما قدما، قال لهما معاوية: قد تعلمان رضائي به وتنخلي (1) إياه، وحرصتي عليه، وقد كنت أعلنتكما بالذي جعلت لها في نفسها من الشورى، فادخلا إليها، واعرضا عليها الذي رأيته لها، فدخلتا عليها وأعلماهما بالذي ارتضاه لهما أبوهما، لما رجا من ثواب الله عليه. فقالت لهما كالذي قال لهما أبوهما، فأعلماه بذلك، فلما ظن أنه لا يمنعها منه إلا أمرها، فارق زوجته، وأشهدهما على طلاقها، وبعثهما خاطبين إليه أيضاً، فخطبا، وأعلمنا معاوية بالذي كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته، وخرجاً عما يشجيهما، فأظهر معاوية كراهية لفعله، وقال: ما أستحسن له طلاق امرأته، ولا أحببته، ولو صبر ولم يعجل لكان أمره إلى مصيره، فإن كونه ما هو كائن لا بد منه، ولا محيص عنه، ولا خيرة فيه للعباد، والاقدار غالب، وما سبق في علم الله لا بد جار فيه، فأنصرفا في عافية، ثم تعودان إلينا فيه، وتأخذان إن شاء الله رضانا. ثم كتب إلى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق أرينب بنت إسحاق عبد الله بن سلام، فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية أمرهما بالدخول عليها، وسؤاها عن رضاها تبرياً من الأمر، ونظراً في القول والعذر، فيقول: لم يكن لي أن أكرهها، وقد جعلت لها الشورى في نفسها، فدخلتا عليها، وأعلماهما بالذي رضيته إن رضيت هي، وبطلاق عبد الله بن سلام امرأته أرينب، طالباً لمسررتها، وذكرها من فضله، وكمال مروءته، وكريم محتده، ما القول يقصر عن ذكره. فقالت لهما: جف القلم بما هو كائن، وإنه في قریش لرفيع، غير أن الله عز وجل يتولى تدبير الأمور في خلقه، وتقسيمها بين عباده، حتى ينزلها منازلها فيهم، ويضعها على ما سبق في أقدارها. وليست تجرى لأحد على ما يهوى، ولو كان لبلغ منها غاية ما شاء. وقد تعرفان أن التزويج هزله جد، وجده ندم، الندم عليه يدوم، والمعثور فيه لا يكاد يقوم،

(1) تنخلي إياه: اصطفاي له من بين الناس،

وأصل اللفظ معناه أن ينخل الشخص الدقيق حتى يستخرج صافيه ويجتنب رديئه. (*)

